صوت الهمزة في العربية واللغات السامية

م. د. سوسن عبد الحسن عجيل
كلية الآداب/ جامعة واسط

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد...

تناول هذا البحث صوت الهمزة في العربية واللغات السامية، فالهمزة تعدّ من أهم المشكلات الصوتية واعقدها في العربية، إذ تمتاز بصفات تختلف بها عن كثير من الأصوات، إذ بدأ البحث أولا برسم الهمزة في العربيّة واللغات الساميّة وكيف تطور هذا الرسم، ثم تحديد صفات هذا الحرف ومخرجه في اللغات الساميّة والكشف عن أوجه التشابه والاختلاف في ذلك بين اللغات الساميّة، وتحدث بعد ذلك عن تحديد مخرج الهمزة وأهم صفاتها في العربيّة وتباين آراء العلماء قدماء ومحدثين حول موضع نطقه ومخرجه مما ترتّب عليه أن وصف هذا الصوت بصفات كثيرة تباينت آراء العلماء في تحديدها. كما أشار إلى علاقة هذا الصوت بالأصوات العربيّة الأخرى ولاسيما أصوات المد واختلاف العلماء قدماء ومحدثين في تحديد هذه العلاقة، تلي ذلك خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

رسم الهمزة في العربيّة واللغات الساميّة

تأثّر العرب في وضعهم الخط العربيّ بالخط النبطيّ، واشتقّوا خطوط أبجديتهم من الخط الفينيقي إذ ترجع أصول الخط العربي إلى الخط الفينيقي الذي وصل إلى العرب عن طريق النبط الّذين كان خطهم منتشرًا في شمالي الجزيرة العربيّة، والنبط قوم من الساميين اقتبس العرب منهم الخط للاتصال المباشر بينهم، وقيل أن الخط العربي مشتق من الآرامي، وترسم الهمزة بالأملاء الآرامي بالألف دائما أما في العربيّة فإن الألف تدلّ على الهمزة في بعض الحالات، وعلى المد في بعضها.

فالألف كانت تمثل في أصل الخط النبطي رمزًا للهمزة ثم حدث تطوّر صوتيّ فاكتسبت صفة الدّلالة على الحركة الطويلة، فضاعت الهمزة في غير أول الكلمة وهكذا بدا كأن الألف رمز للفتحة الطويلة إلى جانب أنها رمز للهمزة(١).

واستعملت النقوش النبطية أشكالا مختلفة للتعبير عن الهمزة يمكن الربط فيما بينها شكليًّا وربطها بالأصول الساميّة القديمة ومن هذه النقوش، النقوش المستخرجة من الحورانيّة والسينائيّة ونقوش منطقة الحجر شمال الجزيرة العربيّة 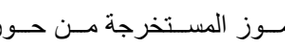 ، فضلا عن مجموعة أخرى من الرموز المستخرجة من حوران والحجر وهي:

إذ وجد رمز الهمزة في الكتابات السينائيّة القديمة على هيئة رأس ثور ( ) يكون أحيانا بعينين( ) ويبدو فيهما صورة قرني الثور ووجهه واضحين تماما.

ثم تطوّر هذا الرمز في الكتابة الشماليّة الغربيّة وأصبح على هيئة أكثر تجريد، فقد أصبح على شكل ( )، وهذا ما وجد في الكنعانيّة والمؤابيّة والآراميّة القديمة.

وطوّرت التدمريّة والنبطيّة صورة هذا الحرف تطويرا ليس قليلا، فالرمز يعدّ بداية لتوليد الرمز ( ) مما أدى إلى التوجه نحو الرمز ( )، وأهم ما يلاحظ في هذا التطور أن الرمز قد فقد ملامح وجه الثور نهائيًّا. وقد استعملت

العربيّة الرمز (𐤏) في الخطوط القديمة المشوبة بالآراميّة كما في كلمة (𐤒𐤉𐤑) أي القيس، وكلمة (𐤏𐤁𐤃) أي العرب، وظلّت آثار هذا الرمز إلى يومنا هذا متمثّلة بالرمز (ع) فهو يمثل صورة مقلوبة لذلك الرمز القديم (𐤏)([٢]).

أما صورة الهمزة التي نستعملها في يومنا هذا، وهي (ء)، فقيل: هي من ابتكار الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي وضع علامة مميّزة للهمزة عبارة عن رأس عين صغيرة (ع) وكان اختيار الخليل لهذا الرمز لأنه أحسّ بقرب مخرج الهمزة من مخرج العين وكان هذا العمل محاولة لتجنب اللبس الناشئ عن استعمال الألف في تصوير الفتحة الطويلة فضلا عن تمثيله الهمزة رسمًا، فالألف كانت ذات مدلولين مختلفين أحدهما صوت الهمزة والثاني الفتحة الطويلة([٣]).

صوت الهمزة في اللغات الساميّة

صوت الهمزة صوت أصيل في اللغات الساميّة كلّها، وهو صوت فريد بين أصوات الفصيلة الساميّة، فاللغات الساميّة تتشابه بخصائص لغويّة أساسيّة تجعل مسألة قرابتها أمرا مؤكدا لا يرقى إليه شك وتأتي في مقدمة هذه الخصائص التي تميّز اللغات التي تعود إلى أصل واحد من اللغات الأخرى الأصوات الحلقيّة والأصوات الحنجرية وهي الحاء والعين والهمزة والهاء ففي الساميّة الأم صوتان حنجريان أحدهما إنفجاريّ مزماريّ هو الهمزة والآخر رخو مهموس هو الهاء، يتضح من هذا أن صوت الهمزة في اللغات الساميّة صوت حلقي حنجري مزماري أي أن مخرجه من الحنجرة أو المزمار وهو صوت شديد إنفجاريّ مجهور([٤]). ولم يجد الساميون صعوبة في كتابة رمز هذا الصوت.

ولا تكاد تخلو لغة من اللغات الساميّة من هذا الصوت فالأكدية مثلا ينقصها كثيرا من الأصوات الساميّة ومنها(ث، ذ، ظ، ض، ع،غ، ح) غير أنها لا تخلو من الهمزة. وكذلك في اللغة الاوغاريتية التي تعرف ثلاثين حرفًا من بينها ثلاثة أشكال للهمزة مع الحركات الثلاث الأساسيّة، فهي تشتمل على الأصوات الساميّة كلّها عدا الضاد الذي يحل محله الصاد كما في اللغات الكنعانية من فينيقية وعبرية ومؤابية. أما العبريّة والآراميّة القديمة فقد تبنّت الكتابة التي اخترعها الفينيقيون في جبيل التي تعرف من حيث الشكل اثنين وعشرين حرفًا هي (أ، ب، ج، د، ه، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص، ق، ر، ش، ت) ([٥]).

يتّضح مما تقدّم اشتمال أغلب اللغات الساميّة على صوت الهمزة الذي يعدّ من أكثر الأصوات الحلقيّة التي احتفظت بها اللغات الساميّة.

ويعرف صوت الهمزة في اللغات الساميّة عامّة بصوت الألف وهو أول حروف الأبجدية الساميّة ويمثل في كتابات تلك اللغات برمز معين واحد، وقد عرف ذلك الصوت في العربيّة باسم الهمزة([٦]).

ويذهب بعض الباحثين إلى أن لفظ الهمزة ليس في أصله علما على صوت من أصوات اللغة بل هو وصف لكيفية نطقية، ثم غلب إطلاقه على الصوت المعروف الذي كان يسمى من قبل ((ألفا)) سواء في العربيّة أم في غيرها من الساميّات، فهو في العبريّة (أَلِيف) حركة اللام، وفي الآراميّة (آلف)، وفي الحبشية (أَلْف) بسكون اللام، وهو فيها جميعا صوت احتباسي غير أنه أخذ يضعف في الآرامية حتى فقد كل قيمته الصوتية كساكن، بل لقد مالت كل اللغات الساميّة إلى التخلص منه في النطق([٧]).

وتعدّ الهمزة من الأصوات الحلقيّة التي احتفظت بها اللغة الساميّة الأم وهي (الهمزة والهاء والعين والحاء والخاء)، وهي جميعا ذات قيمة فونيمية أي أن كلا منها يمثل وحدة تقابليّة صغرى مجردة في النظام الصوتيّ للساميّة الأم وفي بعض اللغات الساميّة ومنها العربيّة التي احتفظت بها جميعًا.

وتتفاوت اللغات الساميّة في احتفاظها بأصوات الحلق هذه فهي موجودة برمتها في العربيّة الشمالية والعربيّة الجنوبية والأوغاريتيّة، في حين أن الأكديّة أقلّ تلك اللغات احتفاظا بأصوات الحلق إذ إنها لم تبق إلا على الهمزة والخاء(٨).

يتّضح مما تقدّم أن الهمزة من أكثر الأصوات الحلقيّة التي احتفظت بها اللغات الساميّة، وهو عندهم صوت صامت شديد مجهور حلقيّ كما هو في العربيّة، فصفات الهمزة في الساميّات لا تختلف كثيرا عن صفاتها في العربيّة.

صوت الهمزة في اللغة العربيّة:

يمثّل صوت الهمزة في اللغة العربيّة أهمّ مشكلات الأصوات العربيّة واعقدها التي ينبغي معالجتها علاجًا علميًا، ويرجع هذا إلى الاختلاف في تحديد ماهية هذا الصوت أي تصوّر القدماء لطريقة إنتاجه، وعلاقاته بغيره من حروف المد واللين، ونظرة الدراسات الحديثة إلى ذلك. لذا يحسن الوقوف عند هذا الصوت وبيان المعايير التي بسببها اختلف الدرس الصوتيّ حين وصف الهمزة، فقد اختلف العلماء قدامى ومحدثون في تحديد مخرج الهمزة وتحديد صفاتها بين الجهر والهمس والشدّة والرخاوة، فضلا عن كونها حرفًا صحيحًا أم معتلاً، وكما يأتي:

أولا: آراء العلماء في تحديد مخرج الهمزة:

أقدم الآراء تذهب إلى القول: أن مخرج الهمزة من أقصى الحلق وهو رأي الخليل بن أحمد الفراهيدي فالهمزة عنده مهتوتة مضغوطة فإذا رقّه عنها لانت وذلك بقوله : ((الهمز صوت مهتوت في أقصى الحلق))(٩). وهي حرف حلقيّ عند سيبويه أيضا إذ قسّم مخارج الأصوات على ستة عشر مخرجًا تقع الهمزة في أقصى الحلق(١٠)، وجعل سيبويه الهمزة من أقصى الحلق بينما جعلها الخليل مع الصوائت الطويلة في مخرج سماه الهاوي، وبهذا رسم سيبويه مسارا لعلماء العربيّة سار عليه من جاء بعده، فرأي أغلب القدماء أن صوت الهمزة من الأصوات الحلقيّة وبالتحديد من أقصى الحلق، وهذا ما نجده عند مكيّ بن أبي طالب القيسيّ إذ يقول: ((الهمزة أول الحروف مخرجا وهي تخرج من أول مخارج الحلق من آخر الحلق مما يلي الصدر))(١١)، وعند القسطلاني فالحلق عنده فيه ثلاثة مخارج لستة أحرف أولها أقصى الحلق وهو آخر طابقتيه مما يلي الصدر وهو للهمزة(١٢)، وتبعهم ابن عصفور بقوله: ((فللحلق منها ثلاثة فأقصاها مخرجا الهمزة والألف والهاء))(١٣). وبهذا نرى أن الرأي القديم يذهب إلى أن صوت الهمزة من الأصوات الحلقيّة وبالتحديد من أقصى الحلق. أمّا المحدثون فإن مخرج الهمزة عندهم هو الحنجرة أو المزمار فالهمزة عند المحدثين صوت حنجري مزماري، وهذا ما صرّح به الدكتور إبراهيم أنيس عند حديثه عن مخرج الهمزة بقوله: ((أما مخرج الهمزة المحقّقة فهو من المزمار))(١٤)، وهي عند بسّام بركة صامت انسداديّ حنجريّ أو مزماريّ، فعند نطقها تسد فتحة الحنجرة أو المزمار على مستوى الوترين الصوتيين وذلك بانطباقهما انطباقا تاما بحيث لا يسمح للهواء المزفور بالمرور من الحنجرة(١٥) وكأن الحنجرة والمزمار عنده شيء واحد. وعدّها موسكاتي صوتًا حنجريًا مزماريًا أيضا(١٦).

أما رمضان عبد التوّاب فالهمزة عنده صوت حنجريّ فقط(١٧)، وهي عند تمّام حسّان صوت حنجريّ أيضا ((يتمّ نطقه بإقفال الأوتار الصوتية إقفالا تامًا وحبس الهواء خلفها ثم إطلاقه بفتحها فجأة ويطلق على هذا الصوت عادة الاصطلاح وقفة حنجرية))(١٨). وكذلك وصفها كمال بشر وعبده الراجحي وحاتم الضامن وغيرهم بأنها صوت صامت حنجريّ إنفجاريّ(١٩)، وذهب بعض الباحثين المحدثين إلى ما ذهب إليه القدماء بأن الهمزة حرف حلقيّ من أقصى الحلق تحدث بانغلاق رأس قصبة الرئة وانفتاحه السريع(٢٠) .

ثانيا: صفات الهمزة:

لكلّ صوت صفات خاصّة به تميّزه عن غيره من الأصوات وهذه الصفات إما أن تكون صفات عامّة ينطوي تحتها عدد من الأصوات ومنها صفة الجهر والهمس مثلا وإما أن تكون خاصّة بصوت معين مثل صفة التكرار الخاصّة بحرف الراء

مثلا. وقد حدّد علماء العربيّة صفات كلّ حرف من حروف العربيّة، ويعدّ الخليل أول من حدّد صفات الأصوات العربيّة وتبعه من جاء بعده، فقد رأى أن أصوات العربيّة تختلف في السمع من صوت لآخر، وأن لكل صوت خصائصه ومزاياه، والهمزة واحدة من هذه الأصوات التي لها صفاتها الخاصّة التي تميّزها عن غيرها، لذا كان لابدّ من أن نحدّد هذه الصفات وأن نبيّن آراء العلماء فيها، وكما يأتي:

أولا: الجهر والهمس:

حدّد الخليل مفهوم الجهر والهمس بقوله عن الجهر: ((كلام جهير وصوت جهير أي عال ....والجهور الصوت العالي))([٢١])، فالجهر في الصوت عنده هو علو درجة الصوت، أمّا الهمس فهو: ((حس الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر ولا جهارة في النطق ولكنه كلام مهموس في الفم))([٢٢])، غير أنه لم يحدّد الأصوات المجهورة والمهموسة. أمّا عند سيبويه فالحرف المجهور هو ((حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس من أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت))([٢٣])، والمهموس هو ((حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس ولو أردت ذلك في المجهور لم تقدر عليه))([٢٤])، وقد قسّم سيبويه الأصوات على قسمين مجهورة ومهموسة وعدّ الهمزة من الأصوات المجهورة، وتابعه في ذلك علماء العربيّة ممن جاء بعده، ومنهم ابن جنيّ إذ عدّ الهمزة حرفًا مجهورا وذلك بقوله:((اعلم أن الهمزة حرف مجهور))([٢٥])، وهي عند ابن يعيش مجهورة شديدة أيضا([٢٦])، وكذلك هي عند مكيّ بن أبي طالب وشهاب الدين القسطلانيّ من الحروف الجهورة الشديدة([٢٧]).

واختلف المحدثون في تحديد صفة الجهر والهمس، مما أدى إلى اختلافهم في تحديد صفة الهمزة، هل هي مجهورة أم مهموسة، فعرّفوا الصوت المجهور بأنه ((هو الصوت الذي تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به))([٢٨])، أما المهموس فهو ((هو الصوت الذي لا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به))([٢٩])، فذهب عدد من الباحثين إلى القول بأن الهمزة صوت مهموس خلافا لما قاله القدماء ومنهم، هنري فليش بقوله: ((ولم تكن الهاء سوى مهموسة، والهمزة كذلك مهموسة))([٣٠])، وفيشر: ((صوت حنجري مهموس إنفجاريّ))([٣١])، والدكتور تمّام حسّان إذ بين سبب وصف هذا الصوت بالهمس بقوله: ((وتأتي جهة الهمس من هذا الصوت من أن إقفال الأوتار الصوتية معه لا يسمح بوجود الجهر في النطق))([٣٢])، وعدّها الدكتور رمضان عبد التوّاب صوتا مهموسا أيضا وذلك بقوله: ((وهو صوت حنجريّ شديد مهموس ينطق بالتقاء الوتران الصوتيان أحدهما بالآخر إلتقاء محكما يحبس خلفهما الهواء الخارج من الرئتين حتى إذا زال هذا الإلتقاء فجأة سمع للهواء المحبوس انفجارا هو صوت الهمزة))([٣٣])، ويرى بعض المحدثين أن الهمزة صوت مهموس وأن العرب القدماء قد خلطوا الهمزة بالالف المجهورة لأنها تحملها في الغالب فظنوها مجهورة مثلها بينما هي لا تكون إلا مهموسة لأنطباق الأوتار عند النطق بها([٣٤])، فهي مهموسة عندهم تبعا لحالة الوترين الصوتيين.

وذهب آخرون إلى القول أن الهمزة صوت لاهو بالمجهور ولا هو بالمهموس لأن وضع الوترين حال النطق بها لا يسمح بتحديد اتصافه بالجهر أو بالهمس، وهذا ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس بقوله: ((فالهمزة إذن صوت شديد لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس لأن فتحة المزمار معها مغلقة اغلاقا تاما))([٣٥])، ويرجّح الدكتور بسّام بركة أن الهمزة صوت لاهو بالمجهور ولاهو بالمهموس بقوله: ((اختلف العلماء في كون الهمزة مجهورة أو مهموسة إلا أن الرأي الراجح إنها صوت لا بالمهموس ولا بالمجهور، لأن وضع الوترين حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود الجهر(تذبذبهما) أو الهمس (عدم تذبذبهما) فهي تنتج بقطع النفس على مستوى الوترين في حال انطباقهما، ومن هنا كانت تسميتها بهمزة القطع، ويكون الوتران في وضع غير وضع الجهر والهمس معًا))([٣٦])، ويرى الدكتور كمال بشر أن للأوتار الصوتية وضعا خاصّا حال النطق بالهمزة فالهمزة عنده صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس، بقوله: ((نضيف إلى وصف الهمزة عبارة أخرى هي أنها صوت لا بالمجهور ولا بالمهموس ... نجد أن كلا الدارسين قد عدّ الهمزة مهموسة لعدم التذبذب في الأوتار الصوتية أو لعدم

وجود حالة الجهر، ونحن نرى أن الهمس ليس معناه عدم الجهر أو بعبارة أدقّ أن الهمس لا ينتج من عدم التذبذب وحده وإنما ينتج من عدم التذبذب الذي سببه انفراج الوترين نفسيهما انفراجا يسمح بمرور النفس خلالها. أمّا عدم التذبذب في حالة الهمزة فهو نتيجة للإقفال التام للوترين وهذا في رأينا وضع آخر لا هو بوضع حالة الجهر ولا هو بوضع حالة الهمس، ومعنى ذلك أن للأوتار الصوتية في نظرنا ثلاثة أوضاع رئيسية في الكلام العادي وضع لها في حالة الجهر وآخر في حالة الهمس وثالث عند النطق بالهمزة العربيّة))([٣٧])، وهي عند الدكتور حاتم الضامن صوت لا يوصف بالجهر ولا بالهمس أيضا([٣٨]).

وذهب فريق ثالث إلى ترديد ما قاله القدماء، وذلك بعدّهم الهمزة صوتا مجهورا ومنهم الدكتور علي عبد الواحد وافي وصبحي الصالح وغيرهما.

ثانيا: الشدّة والرخاوة:

عرّف سيبويه الصوت الشديد بأنه:((الصوت الذي يمنع النفس أن يجري معه))([٣٩]) وعدّ الهمزة من الحروف الشديدة، أما الصوت الرخو فهو:((الّذي يجري فيه الصوت))([٤٠]). وذكر القدماء أن هناك حروفا بين الشديدة والرخوة حصرها ابن جنّي في (لم يروعنا)([٤١]). فالهمزة عند القدماء صوت شديد([٤٢]).

أما عند المحدثين فالصوت الشديد هو: ((الذي يحبس مجرى النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن من مخرجه وذلك بالتقاء عضوين من أعضاء آلة النطق ثم ينفصل العضوان فيندفع الهواء المحبوس فجأة محدثا صوتا إنفجاريّا))([٤٣]). والصوت الرخو هو: ((الذي لا ينحبس الهواء من مخرجه حبسا تاما وذلك بأن يضيق مجرى النفس باقتراب عضوين من أعضاء آلة النطق نحو بعضهما في مخرج الحرف دون أن يقفلا المجرى فيحدث النفس في أثناء مروره بمخرج الصوت خفيفا مسموعا تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى))([٤٤]). والهمزة عند المحدثين صوت شديد إنفجاريّ أوما يسمى بالوقفة الإنفجاريّة، ولاخلاف في ذلك بين القدماء والمحدثين([٤٥]).

تحقيق الهمزة وتسهيلها عند القدماء والمحدثين:

يأتي صوت الهمزة في كلام العرب محقّقا ومخفّفا، و ذكر القدماء ثلاثة أحوال للهمزة ذكرها سيبويه في قوله: ((اعلم أنّ الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء : التحقيق والتخفيف والبدل ، فالتحقيق قولك : قرأت، و رأس، وسأل، ولؤم، وبئس وأشباه ذلك .. وأمّا التخفيف فتصير الهمزة فيه بين بين وتبدل وتحذف))([٤٦]) ، يفهم من قول سيبويه هذا أنّ للهمزة حالتين : الأولى : التحقيق والأخرى التخفيف ويندرج تحت الحالة الثانية حالة ثالثة تتمثل في حذف الهمزة أو إبدالها أو الإتيان بها بين بين، ويرجع تحقيق الهمزة وتخفيفها إلى تباين اللهجات العربيّة وذلك كقولهم : سال في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحققها بنو تميم سأل([٤٧]).

وردّد المحدثون ما قاله القدماء في مسألة تحقيق الهمزة وتخفيفها فذهبوا إلى القول أن الاختلاف بين الهمز والتخفيف يرجع إلى تباين اللهجات واختلاف الناطقين تبعا لتعدد البيئة اللغويّة([٤٨]) ، غير أن المحدثين لم يلتزموا بمقولة القدماء: إنّ الهمزة المحققة عند تخفيفها تقلب واواً أو ياءاً أو ألفاً ولم يلتزموا بقولهم : إنّ هذه الثلاثة تقلب همزة ([٤٩]).

واختلف القدماء في الهمزة فمنهم من عدّها من أحرف العلة لِمَا أقرُّوه من علائق صوتية بين الهمزة والأحرف الثلاثة ومن هذه العلائق أنهم صنفوا الهمزة ضمن الأصوات المجهورة وأنهم قاربوا في المخرج بين الهمزة والألف، وذلك بقولهم: ((ومنها حروف العلة، وهي حروف المد والهمزة لأن التغيير والعلة والانقلاب لا يكون في كلام العرب إلا في أحدها))([٥٠])، وقولهم: ((والهمزة من حروف العلة))([٥١]).

غير أن الهمزة عند اغلب القدماء لم تعد من حروف العلة وإن كان هناك بعض العلائق فيما بينها فذهبوا إلى القول أنَّ الهمزة لا تدخل في المعتلات وان أجروها مجرى حروف العلة في بابيّ القلب (الإعلال) والتضعيف كما في قول سيبويه:

((فالهمزة بمنزلة ما ذكرنا من غير المعتل، إلا في القلب والتضعيف))()، وقولهم: ((ونعني بحرف العلة الواو والياء والألف، وإنما سميت حرف علة لأنها لا تسلم ولا تصح أي لا تبقى على حالها في كثير من المواضع بل تتغيير بالقلب والإسكان والحذف والهمزة وإن شاركتها في هذا لكن لم يجر الاصطلاح بتسميتها حرف علة))([٥٢])، وقولهم: ((وحروف العلة ثلاثة: الواو والياء والألف))([٥٣]) ، ومنهم من عدّها حرف شبيه بحرف العلة غير أنه ليس بحرف علة بقوله: ((ومن مضارعة الحرف للحركة أن هذه الأحرف الثلاثة: الألف والياء والواو إذا اشبعن ومُطلن أدّين إلى حرف آخر غيرهن إلا أنه شبيه بهن وهو الهمزة))([٥٤])، وفي قولهم: ((.. وهذا إنما يكون في حروف العلة، التي هي: الواو والياء والألف، وفي الهمزة أيضا لمقاربتها ايّاها، وكثرة تغيرها))([٥٥]).

وكذلك ذهب عدد من المحدثين إلى رفض هذا النوع من المبادلة بين أصوات العلة والهمزة لبعد المناسبة الصوتية بين الهمزة وهذه الأصوات، ذلك أنّ الهمزة صوت حنجري شديد مهموس يندرج مع الأصوات الصامتة أمّا الواو والياء فهي أصوات صائتة انطلاقية مجهورة لا يصاحب نطقها حاجز إن كانت أصوات مدّ، وتأتي الواو والياء صوتي لين فتكون ضمن الأصوات المتوسطة أو المائعة([٥٦])، فيتضح من هذا أنه لا علاقة صوتية بين الهمزة من ناحية وبين الواو من ناحية أخرى وهذا ما أكّده الدكتور عبد الصبور شاهين([٥٧])

الخاتمة:

بعد هذا العرض المختصر لصوت الهمزة يمكننا القول أن رسم الهمزة في بداياته الأولى كان متداخلا مع الألف سواء في العربية أم في الساميآت الأخرى، فصورة الهمزة تمثل تطورا عن صورة الألف في مراحلها المختلفة، وربما كان هذا هو السبب الأول في اختلاف العلماء في تحديد ماهية هذا الصوت لأختلاطهم بين الهمزة والألف مما أدى إلى اختلافهم في تحديد مخرج الهمزة وأهم صفاتها، فالهمزة في العربيّة واللغات الساميّة صوت حلقيّ مخرجه أقصى الحلق وهو أكثر الأصوات الحلقية التي احتفظت بها اللغات الساميّة، أما عند المحدثين فهو صوت حنجريّ مزماريّ إذ كانوا أكثر دقّة في تحديد المخرج وهذا ما تدعوه طبيعة تطور العلم، فالحنجرة جزء من الحلق ولا خلاف في ذلك، وأهم خلاف حدث بين علماء العربية قدامى ومحدثين هو تحديد صفات الهمزة بين الجهر والهمس، فالهمزة صوت مجهور عند القدماء وتابعهم في ذلك عدد من المحدثين بينما هي عند عدد آخر من المحدثين صوت مهموس وعدّها آخرون لا مجهورة ولا مهموسة بل لها وضع خاص بها حال النطق لا يشاركها فيه غيرها من الأصوات، وهذا الخلاف يعود إلى اختلافهم في فهم وتحديد صفة الجهر والهمس، أما صفة الشدة والرخاوة فلا خلاف في ذلك فهي صوت شديد، وكان اكبر الخلاف في تحديد علاقة الهمزة بحروف العلة فقد ذهب عدد من القدماء إلى القول بأن الهمزة من حروف العلة وتابعهم عدد من المحدثين، لكن الذي يذهب إليه اغلب العلماء أن الهمزة لا تعدّ من حروف العلّة إذ لاعلاقة بين الهمزة وحروف العلة لاختلافهم في المخرج والصفات ... والحمد لله ربّ العالمين ....

هوامش البحث

[١]) ينظر: مشكلة الهمزة،رمضان عبد التواب، ١١ – ٢٠، التطور النحوي للغة العربية، براجشتراسر،٤٣.

٢) ينظر: دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية ، د. يحيى عبابنه، ٢٢٠ – ٢٢١.

٣) ينظر: دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر، ٣٠.

٤) ينظر: أبحاث عربية، ٦٤ و٧٤، ومشكلة الهمزة، ٢٤، مدخل إلى نحو اللغات السامية ، سباتينو موسكاتي، ٧٦.

٥) ينظر: أبحاث عربية، ٧٦ - ٧٨.

٦) رسم المصحف، غانم قدوري الحمد، ٣٥١.

٧) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، ١٧ – ١٨.

٨) ينظر: فقه العربية المقارن، رمزي منير بعلبكي، ٤١.

٩) العين، ١٣\ ٣٤٩.

١٠) ينظر: الكتاب، ٤\٤٣٣.

١١) الرعاية، ١٤٥.

١٢) لطائف الإشارات، ١\١٨٩.

١٣) الممتع في التصريف، ٤٢٤.

١٤) الأصوات اللغوية، ٧٨.

١٥) علم الأصوات العام، ١١٧ – ١١٨.

١٦) مدخل إلى نحو اللغات الساميّة، ٧٦.

١٧) مشكلة الهمزة، ٢٤.

١٨) مناهج البحث في اللغة، ١١٧.

١٩) ينظر: دراسات في علم اللغة،٥٧، و اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ٩٥، فقه اللغة، ١٤٨.

٢٠) التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، ٣٩.

٢١) العين، ١٣\ ٣٨٨ – ٣٨٩.

٢٢) المصدر نفسه، ١٠\١٤.

٢٣) الكتاب ،١٤\ ٤٣٣.

٢٤) الكتاب ،٤٣٣\١٤.

٢٥) سرّ صناعة الإعراب ، ٦٩\١.

٢٦) ينظر: شرح المفصل، ١٠\ ١٢٩.

٢٧) ينظر: الرعاية، ١٤٥، لطائف الإشارات، ١\ ٢٠٤.

٢٨) علم الأصوات، كمال بشر،١٧٤، أسرار الحروف، احمد زرقة، ٤٤.

٢٩) علم الأصوات، كمال بشر، ١٧٤.

٣٠) العربية الفصحى، ٣٨.

٣١) دراسات في العربية، ١٦٥.

٣٢) مناهج البحث في اللغة،١٢٥.

٣٣) مشكلة الهمزة، ٢٤.

٣٤) ينظر:التصريف العربي، ٤٣، القراءات القرآنية، عبد الصبور شاهين، ٢٤، مبادئ اللسانيات، احمد محمد قدور، ١٢٥ - ١٢٦.

٣٥) الأصوات اللغوية، ٨٧.

٣٦) علم الأصوات العام،١١٧ – ١١٨.

٣٧) دراسات في علم اللغة،٥٩.

٣٨) فقه اللغة، ١٤٩.

٣٩) الكتاب،٤ \٤٣٤.

٤٠) سر صناعة الإعراب، ٧٠\١.

٤١) ينظر: سر صناعة الإعراب، ١\ ٦٩.

٤٢) ينظر: المقتضب، المبرّد، ١\ ٣٣١، وشرح المفصل، ١٠\ ١٢٩، الرعاية ، ١٤٥، لطائف الإشارات، ١\ ٢٠٤.

٤٣) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ١٤٠.

٤٤) المصدر نفسه.

٤٥) ينظر:دراسات في علم اللغة، كمال بشر، ٥٧، مبادئ اللسانيات، احمد محمد قدور، ١٢٦.

٤٦) الكتاب : ٥٤١/٣.

٤٧) المصدر نفسه : ٥٤٢/٣.

٤٨) في اللهجات العربية :٥٠ – ٥٢ والقراءات القرآنية: ١٢٨ – ١٢٩ .

٤٩) ينظر : الكتاب ٥٤٢/٣، وشرح الشافية للرضّي : ٦٧/١.

٥٠) لطائف الاشارات ، القسطلاني١ \ ٢٠٠ - ٢٠١.

٥١) الرعاية، مكي بن ابي طالب القيسي، ١٢٨.

٥٢) شرح الشافية، ٣٣\١.

٥٣) شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، ٤٧ – ٤٨.

٥٤) الخصائص، ١\ ٣١٨.

٥٥) شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، ٢١٤.

٥٦) ينظر : علم الأصوات اللغوية : ٤٦ ، والمنهج الصوتي ٧٠ – ٧٢ .

٥٧) ينظر: القراءات القرآنية، ٧٧

المصادر:

- أبحاث عربية، في الكتاب التكريمي للمستشرق الالماني فولفديتريش فيشر، ط١، ١٩٩٤م.
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مطبعة الانجلو المصرية،١٩٧١م.
- أصول اللغة العربية – أسرار الحروف، احمد زرقة، دار الحصاد، ط١، دمشق،١٩٩٣م.
- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، صالح القرمادي، ط٢، تونس،١٩٧٣م
- التطور النحوي للغة العربية، براجشتراسر، مكتبة الخانجي، ط٤، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، الدكتور غانم قدوري الحمد ، مطابع الخلود، بغداد، ١٩٨٦م.
- دراسات في العربية أصولها – مراحلها التاريخية – بنيتها – لهجاتها – علاقاتها بأخواتها الساميات، لمجموعة من المستشرقين المعاصرين، حررها المستشرق فولفديتريش فيشر، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، أ. د. يحيى عبابنه، دار الشروق، ط١، عمان، ٢٠٠٠م.
- دراسات في علم اللغة، كمال محمد بشر ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م.
- رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري الحمد، اللجنة الوطنية، ط١، بغداد، ١٩٨٢م.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي ابن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، ط٣، الأردن، ١٩٩٦م .
- سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق، حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥ م.
- شرح المفصل، ابن يعيش، الطباعة المنيرية، تصحيح جماعة من العلماء، مصر.
- شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش ٦٤٣هـ ، تحقيق : فخر الدين قباوة، دار الاوزاعي، ط٢، بيروت – لبنان، ١٩٨٨م.
- العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، هنري فليش ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار المشرق ، ط ٢، بيروت، ١٩٨٣م .
- علم الأصوات، د. كمال محمد بشر، دار غريب، القاهرة.
- علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، د. بسّام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت – لبنان.
- العين، الفراهيدي، الخليل بن احمد(ت ١٧٥هـ)، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، الرسالة، الكويت،١٩٨٠م.
- فقه العربية المقارن، دراسات في أصوات العربية وصرفها ونحوها على ضوء اللغات السامية، د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت – لبنان،١٩٩٩م.
- فقه اللغة، د. حاتم الضامن، جامعة بغداد.
- في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، لجنة البيان العربي، مصر، ١٩٥٢م.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان(ت ١٨٠ هـ) ،تحقيق د. عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م .
- لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، تحقيق: عامر السيد عثمان، د. عبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٧٢م.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي، دار المعرفة، الاسكندرية، ١٩٩٦م.
- مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، ط٣، دمشق، ٢٠٠٨م.
- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، سباتينو موسكاتي وآخرون، ترجمة، د. مهدي المخزومي، د.عبد الجبار المطلبي، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٣م.
- مشكلة الهمزة العربية، د. رمضان عبد التوّاب، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٩٩٦م.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ٢٨٥ هـ تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت ،د. ت.
- الممتع في التصريف، ابن عصفور الاشبيلي، تحقيق : فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٩ م.
- مناهج البحث في اللغة، د. تمّام حسّان، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٧٩ م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م